

كيف بدأ العهد الجديد

رحلة النص بين المقدس والبشري

بناءً على اتفاق ملزم مع الناشر الأجنبي ترجمة قانونية كاملة من الأصل الصادر
باللغة الإنجليزية:

MISQUOTING JESUS: The Story Behind Who Changed the Bible and Why by Bart
D. Ehrman

copyright©2005 by Bart D. Ehrman

Published by arrangement with Harper One, an imprint of HarperCollins Publishers

كيف بدأ العهد الجديد

رحلة النص بين المقدس والبشري

تأليف

بارت د. إيرمان

ترجمة

عبد المنعم الجنائني

شريف حامد سالم





مكتبة البحر الأحمر

42 ش ماري جرجس - مجمع الأديان - المنطقة

السياحية - مصر القديمة - القاهرة.

هاتف: 0020227412286

محمول: 00201144418191

www.redseabookstores.com

E-mail: info@redseabookstores.com

كيف بدأ العهد الجديد

رحلة النص بين المقدس والبشري

تأليف: بارت د. إيرمان

ترجمة: شريف حامد سالم - عبد المنعم الجنائني

الطبعة الأولى - القاهرة 2026

رقم الإيداع: 2026/3089

الترقيم الدولي: 9 - 92 - 8836 - 977 - 978 ISBN:

المقاس: 14.5 × 21.5.

عدد الصفحات: 312.

"الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن وجهة نظر مكتبة البحر الأحمر".

السلسلة :

وُلدت المسيحية في مَشرقنا العربي، وكان لهذا المشرق إسهامٌ أصيلٌ في تشكّلها التاريخي والفكري واللغوي، ونحن كعرب أولى من غيرنا من الأمم أن نعرف عنها وأن نتعمق في فهمها، فهي دين كثير من إخواننا وأبنائنا وأهلينا.

وتأسيسًا على هذا الفهم، تُعنى هذه السلسلة بنشر دراسات أكاديمية متخصصة في المسيحية، ونصوصها وتاريخها وتياراتها اللاهوتية والاجتماعية في سياقاتها المشرقية والمتوسطة والدولية؛ هادفة بهذا إلى بناء مكتبة علمية عربية عن المسيحية من خلال بحوث أصيلة، وترجمات نقدية مُحكّمة لأعمال استشراقية ودراسات حديثة، إلى جانب تحقيق ودراسة التراث المسيحي العربي في العراق والشام ومصر وغيرها، وكل ذلك بموضوعية وانفتاح يحترم الأديان والمقدسات، مع إتاحة فضاء علمي رصين للحوار وتبادل الرؤى بين الباحثين والمهتمين.

الآراء الواردة في هذه السلسلة تعبر فقط عن كُتابها.

المشاركون في الكتاب :

المؤلف : بارت د. إيرمان

- باحث وأكاديمي أمريكي متخصص في دراسات العهد الجديد والتاريخ المسيحي المبكر.
- حصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الدينية من معهد برنستون اللاهوتي عام ١٩٨٥م.

- من أكثر العلماء إنتاجًا في مجاله، كتب أو حرّر أكثر من ٣٠ كتابًا وترجمت أعماله إلى عشرات اللغات، وشملت أكثر من ستة كتب في قوائم نيويورك تايمز للأكثر مبيعًا.
- من أبرز مؤلفاته:

- (١) الكتاب الذي بين أيدينا
- (٢) مسيخ متقطع: الكشف عن التناقضات الخفية في الكتاب المقدس.
- (٣) المشكلة الإلهية: لماذا يفشل الكتاب المقدس في الإجابة عن أهم سؤال لنا.
- (٤) صنّع الله من يسوع: كيف أصبح يسوع إلهًا.
- (٥) انتصار المسيحية: كيف اجتاحت ديانة محرّمة العالم.
- (٦) رحلات إلى السماء والجحيم: زيارات الحياة الآخرة في التقليد المسيحي المبكر.

المترجم: شريف حامد سالم

- أستاذ دراسات العهد القديم في كلية الآداب - جامعة المنوفية.
- اهتمت أبحاثه بلغة وتاريخ أفكار العهد القديم وأثر ذلك على الفكر اليهودي المعاصر.
- إضافة إلى عمله في هيئة التدريس والبحث العلمي بكلية الآداب، فإنه قام بالعمل كمترجم وباحث بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام منذ عام ٢٠٠٢م وحتى ٢٠١٣م، وكذلك عمل محررًا ومترجمًا وباحثًا بالمنظمة العربية لمناهضة التمييز منذ ٢٠٠٣ وحتى ٢٠٠٦م.
- قام بإعداد بعض الدراسات والتحليلات ذات الصلة بالشأن الإسرائيلي والشرق الأوسط في إصدار "القدس" التابع لمركز الإعلام العربي، ومنها:
 - ١- إسرائيل ما بعد حرب لبنان: العدد ٩٣ سبتمبر ٢٠٠٦.
 - ٢- التاريخ الفلسطيني بين التغييب التوراتي الصهيوني المتعمد والدراسات العلمية الحديثة: العدد ٩٦ نوفمبر ٢٠٠٦.

- له العديد من المؤلفات والأبحاث المنشورة في مجال التخصص أبرزها:
- ١- "الاستشراق الإسرائيلي المعاصر وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي"، ٢٠٠٩م.
 - ٢- "عبرية ما بعد السبي البابلي (خصائصها والعناصر الأجنبية فيها)"، ٢٠١٢م.
 - ٣- "اتجاهات علماء نقد العهد القديم وآراؤهم في التاريخ الثنوي"، ٢٠١٣م.
 - ٤- "البركة واللعنة في المصدرين اليهودي والكهنوتي (دراسة مقارنة في ضوء نظرية المصادر)"، ٢٠١٤م.
 - ٥- "سفر إرمياء وأحداث السبي البابلي (دراسة نقدية)"، ٢٠١٤م.
 - ٦- "سلاسل الأنساب ووظيفتها في ضوء النقد التحريري (نماذج تطبيقية على نصوص من العهد القديم)"، ٢٠١٥م.
 - ٧- "شروح أسفار العهد القديم: دراسة موضوعية لغوية في ضوء مخطوطات كهوف قمران مع التطبيق على سفر حبقوق"، ٢٠١٦م.
 - ٨- "التراجم الآرامية لأسفار العهد القديم: دراسة في التاريخ والخصائص والأساليب"، ٢٠١٧م.
 - ٩- "تغيب تاريخ فلسطين القديم: محاولة لتصحيح الرؤية التوراتية في ضوء دراسات العهد القديم الغربية"، ٢٠١٧م.
 - ١٠- "صورة أورشليم في أسفار العهد القديم بين الأصل العربي والتهويد"، ٢٠١٨م.
 - ١١- "الترجمة السريانية (البشيطا) لأسفار العهد القديم: النشأة والتطور"، ٢٠١٩م.
 - ١٢- الماسورا وحماية النص: دراسة تطبيقية، ٢٠١٩م.
 - ١٣- التطور التاريخي لتدوين نصوص العهد القديم، ٢٠١٩م.
 - ١٤- الشواهد النصية للمقرا: دراسة تاريخية في مرجعيات النص (قراءة منهجية لكتاب النقد النصي للمقرا لعمانوئيل طوف)، ٢٠٢٢م.

- له العديد من الكتب المنشورة منها:

- ١- المصدر اليهودي في التوراة، القاهرة، ٢٠١١م.
- ٢- نقد العهد القديم، القاهرة، ٢٠١١م.
- ٣- قراءة نصوص التوراة في ضوء نظرية تعدد المصادر، ٢٠١٩م.
- ٤- العهد القديم بين التأويل الديني واتجاهات النقد الحديثة، ٢٠١٩م.
- ٥- الأمانات والاعتقادات، تحقيق ودراسة، مراجعة أ.د. أحمد محمود هويدي، ٢٠٢١م.
- ٦- الخلاف في قرآن اليهود، تحقيق ودراسة، ٢٠٢٤م.
- ٧- تاريخ التوراة من الوحي إلى التدوين، ٢٠٢٤م.
- ٨- الأنوار والمراقب للقرقساني، تحقيق ودراسة مع آخرين، ٢٠٢٤م.

المترجم: عبد المنعم الجنائني

- باحث في مجال مقارنة الأديان والأصول التاريخية لليهودية والمسيحية في أصولها التاريخية.
- بكالوريوس علوم قسم الفيزياء كلية العلوم جامعة عين شمس.
- ماجستير الفيزياء النووية بكلية العلوم جامعة بتسبرج- بنسلفانيا- الولايات المتحدة.
- دكتوراه الفيزياء الذرية بكلية العلوم جامعة بتسبرج- بنسلفانيا- الولايات المتحدة.
- كبير علماء معمل بيتس للطاقة الذرية- وزارة الطاقة الأمريكية- بتسبرج- بنسلفانيا.

المحتويات

كلمة المؤلف	١٣
كلمة المترجمين	١٥
مقدمة	٢٥
الفصل الأول: بدايات الكتابة المسيحية	٤٧
اليهودية باعتبارها ديانة كتابية	٤٧
المسيحية باعتبارها ديانة كتابية	٥١
الرسائل المسيحية المبكرة	٥٢
الأنجيل المبكرة	٥٦
الأعمال الأولى للرسول	٥٧
رؤى آخر الزمان المسيحية	٥٨
القوانين الكنسية	٥٨
الأدب الدفاعي المسيحي	٦٠
سيرة الشهداء المسيحيين	٦١
رسائل الجدل ضد الهرطقة	٦٢
التفسير المسيحية المبكرة	٦٣
تشكل القانون المسيحي	٦٥
بدايات القانون المسيحي	٦٥
دور مرقيون في تشكيل قانون الكتاب المقدس	٦٩
القانون "الأرثوذكسي" بعد مرقيون	٧١
قراء الكتابات المسيحية	٧٤

المحتويات

٧٩.....	القراءة العامة في العصور المسيحية القديمة.....
٨٣.....	الفصل الثاني: نُسخ الكتابات المسيحية المبكرة.....
٨٣.....	النسخ في العالم اليوناني - الروماني.....
٨٦.....	النسخ في الدوائر المسيحية المبكرة.....
٩٢.....	إشكاليات نسخ النصوص المسيحية المبكرة.....
٩٦.....	تغييرات النص.....
٩٨.....	تعقيدات معرفة "النص الأصلي".....
١٠٠.....	أمثلة من الإشكاليات.....
١٠٦.....	إعادة بناء نصوص العهد الجديد.....
١٠٧.....	المرأة الزانية.....
١١٠.....	الفقرات الاثنتا عشرة الأخيرة من إنجيل مرقس.....
١١٥.....	الخاتمة.....
١١٩.....	الفصل الثالث: نصوص العهد الجديد.....
١١٩.....	الطباعات والمخطوطات والاختلافات.....
١٢٠.....	النُسخ المسيحيون المُحترفون.....
١٢٣.....	الفولجاتا اللاتينية.....
١٢٥.....	النسخة الأولى المطبوعة للعهد الجديد باليونانية.....
١٢٩.....	النسخة الأولى المنشورة للعهد الجديد باليونانية.....
١٣٦.....	ملاحظات جون ميل النقدية على النص اليوناني للعهد الجديد.....
١٣٨.....	الجدل الذي أثارته ملاحظات جون ميل النقدية.....
١٤٣.....	وضعنا الحالي.....
١٤٦.....	أنواع التغييرات في مخطوطاتنا.....

المحتويات

التغييرات العرضية/ غير المتعمدة	١٤٧
التغييرات المتعمدة	١٥٢
الخاتمة	١٥٨
الفصل الرابع: السعي وراء الأصول	١٦١
المنهجيات والاكتشافات	١٦١
ريتشارد سيمون	١٦٢
ريتشارد بتلي	١٦٦
يوهان ألبريخت بنجل	١٧٠
يوهان جيه. ويتشتاين	١٧٥
كارل لاخمان	١٨٠
لوبجوت فريدريش كونستانتين فون تيشندورف	١٨٢
بروك فوس ويستكوت وفتون جون أنطوني هورت	١٨٧
الفصل الخامس: النصوص الأصلية ذات الأهمية	١٩٥
المناهج الحديثة للنقد النصي	١٩٥
الأدلة الخارجية	١٩٦
الأدلة الداخلية	٢٠٠
مرقس ويسوع الغاضب	٢٠٢
لوقا ويسوع الثابت الذي لا يتزعزع	٢١١
رسالة العبرانيين ويسوع المهجور	٢١٩
الخاتمة	٢٢٤
الفصل السادس: تعديلات نصية ذات دوافع لاهوتية	٢٢٧
السياق اللاهوتي لتناقل النصوص	٢٢٨

المحتويات

التعديلات المضادة للتبني في النصوص	٢٣٣
المسيحيون القائلون بالتبني في العصور المبكرة	٢٣٣
تغييرات نصية مناهضة للقول بالتبني	٢٣٥
تعديلات نصية مناهضة للدوكتية	٢٤٣
المسيحيون الدوكتيون الأوائل	٢٤٣
تغييرات نصية مناهضة للدوكتية	٢٤٥
تعديلات نصية مناهضة للانفصالية	٢٥٢
الانفصاليون المسيحيون الأوائل	٢٥٢
تغييرات نصية مناهضة للانفصالية	٢٥٤
الخاتمة	٢٥٩
الفصل السابع: العوالم الاجتماعية للنص	٢٦١
النساء ونصوص الكتاب المقدس	٢٦٢
المرأة في الكنيسة المبكرة	٢٦٢
تعديلات نصية خاصة بالنساء	٢٦٨
اليهود ونصوص الكتاب المقدس	٢٧٣
اليهود والمسيحيون في دائرة الصراع	٢٧٣
تعديلات نصية مناهضة لليهود	٢٧٩
الوثنيون ونصوص الكتاب المقدس	٢٨٥
المعارضة الوثنية للمسيحية	٢٨٦
تعديلات ذات طابع دفاعي في النص	٢٩٢
الخاتمة: تغيير الكتاب المقدس	٣٠١
الكتبة والمؤلفون والقراء	٣٠١

كلمة المؤلف

أدين بالامتنان لأربعة علماء يتسمون بالدقة والنباهة قاموا بقراءة مسودة هذا الكتاب وقدموا اقتراحات بالتعديل عليها (بل وأحياناً أصرّوا على ذلك بإلحاح وحرص بالغ): كيم هاينز - إيتزن من جامعة كورنيل؛ ومايكل دبليو. هولمز من كلية بيثل في مينيسوتا؛ وجيفري سايكر من جامعة لويولا ماريماونت؛ وزوجتي سارة بيكويت، عالمة العصور الوسطى في جامعة ديوك. وكم سيكون عالم البحث والأكاديميا مكاناً أسعد لو كان لجميع المؤلفين قرّاء مثل هؤلاء.

كما أود أن أشكر المحررين في دار نشر هاربر سان فرانسيسكو: جون لودون، لتشجيعه على المشروع والموافقة على اعتماده وتبنيه؛ وميكي مودلين، لإيصاله إلى مرحلة الإنجاز التام؛ وقبل كل شيء، روجر فريت، لقراءته المتأنية للنص وملاحظاته المفيدة.

إن ترجمة نصوص الكتاب المقدس، ما لم يُذكر خلاف ذلك، هي من إعدادي الخاص.

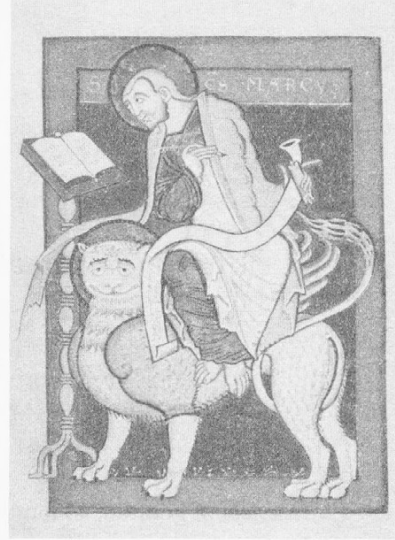
لقد أهديت هذا الكتاب إلى مرشدي و"أبي الأكاديمي"، بروس إم. متسجر، الذي علمني هذا المجال وما زال مصدر إلهام لي في عملي.

المفتاح:

الخط العريض = صياغة متشابهة في النسخ الثلاثة والتي من المحتمل أنها تعكس الشكل الأصلي للمثل

كلمة المؤلف

الخط العادي = عمل كل كاتب إنجيلي في تحرير السرد وتسهيله
الخط المائل = عناصر التأطير والتغيرات التفسيرية التي أضافها كل
كاتب إنجيلي



كتاب الاناجيل الأربعة مع رموزهم الحيوانية التقليدية، يُبرزون كلٌّ منهم جانبًا من
تصويره للمسيح: متى في هيئة إنسان (يرمز إلى الإنسانية)، ومرقس في هيئة أسد
(يرمز إلى الملوكية)، ولوقا في هيئة ثور (يرمز إلى الخدمة أو التضحية)، ويوحنا
في هيئة نسر (يرمز إلى الألوهية).

كلمة المترجمين

ينتمي هذا الكتاب إلى حقل دراسة النصوص المسيحية المبكرة ونقدها، وهو حقلٌ يتقاطع فيه تاريخ المسيحية، ودراسة المخطوطات، وتاريخ الأفكار، وعلم الاجتماع الديني، دون أن ينحصر في أيٍّ منها على نحوٍ اختزالي. ويقوم هذا الحقل، في جوهره، على دراسة النصوص المسيحية الأولى بوصفها وثائق تاريخية خضعت لعمليات إنتاج ونقل وقراءة وتأويل عبر أزمنة متعددة، بما يتيح فهمًا أعمق لتاريخ تشكيلها وللدلالات اللاهوتية والاجتماعية التي انطوت عليها.

ولا يُقصد بنقد النصوص - في هذا السياق - توجيه حكمٍ قيمى أو عقدي على مضمون النصوص، ولا التشكيك في مكانتها الدينية لدى المؤمنين بها، بل البحث في تاريخها المادي والنصي، والوقوف على الكيفية التي انتقلت بها من جيل إلى جيل، والظروف التي كُتبت ونسخت وقرئت فيها. فالنقد النصي - في صورته الأكاديمية - هو نشاطٌ معرفيٌّ وصفيٌّ تحليليٌّ، وليس نشاطًا للهدم والتقويض، وقد نشأ وتطور داخل البيئة المسيحية نفسها، باعتباره ردة فعل علمية لتراكم المخطوطات وتعدد القراءات.

وعلى مستوى نصوص العهد الجديد فإنها تكتسب خصوصيةً واضحة في تاريخ النصوص الدينية، من حيث إنها لم تُدوّن دفعة واحدة، ولم تُجمع في مصحفٍ جامعٍ مبكر، ولم تُحفظ ضمن تقليد نصي واحد متجانس. فقد كُتبت هذه النصوص على امتداد عقود، وفي سياقات جغرافية وثقافية

متباينة، وبأقلام متعددة، ثم دخلت في مسار طويل من التداول والنسخ قبل أن تستقر - نسبيًا - في إطار قانوني معترف به. وقد أتاح هذا الواقع - من جهة - وفرة استثنائية من المخطوطات، ومن جهة أخرى، تنوعًا ملحوظًا في القراءات والاختلافات النصية، ما جعل دراسة تاريخ النص ممكنة على نحو لا يتوافر لكثير من النصوص القديمة.

من هنا بدأ الاهتمام العلمي بتتبع هذه الاختلافات، لا بوصفها خللاً طارئاً، بل بوصفها مفاتيح لفهم تاريخ النص ذاته. فالاختلاف النصي لا يُنظر إليه في النقد النصي الحديث على أنه خطأ فحسب، بل على أنه شاهد تاريخي، يكشف عن طريقة قراءة النص، أو عن افتراضات لاهوتية لدى الناسخ، أو عن محاولة لتوضيح المعنى، أو عن استجابة لجدل عقائدي قائم. وبهذا المعنى، يصبح النص فضاءً حيًا للتفاعل بين المؤلفين والكتبة والقراء، وليس كياناً جامداً خارج التاريخ.

وقد مرّ هذا الحقل بتطورات منهجية عميقة منذ بداياته في العصر الحديث. فبعد أن كان الاهتمام منصباً في المقام الأول على تثبيت نص "صحيح" أو "أفضل"، تطوّر النقد النصي لي طرح أسئلة أوسع تتعلق بتاريخ النص في ذاته: كيف ولماذا تغيّر؟ وما الذي تكشفه التغيرات عن تطور اللاهوت المسيحي المبكر؟ وكيف تداخلت السلطة النصية مع السلطة الكنسية والاجتماعية؟ ومع هذا التحول، لم يعد النقد النصي علماً محضاً تخصصياً، بل صار مجالاً تفسيريًا يربط بين النص وسياقه التاريخي والثقافي. ويحتلّ هذا التحول مكانة خاصة في الدراسات المعاصرة للمسيحية المبكرة؛ إذ أفضى إلى إعادة النظر في كثير من المسلّمات المتعلقة بثبات

النص، ووحدة اللاهوت المبكر، وطبيعة "الأرثوذكسية" نفسها. فقد أظهرت الدراسات الحديثة أن ما اعتُبرَ لاحقًا تعليمًا معياريًا كان في بداياته أحد أصوات متعددة، وأن النصوص لعبت دورًا فاعلاً في حسم هذه التعددية، لا بوصفها مرآة محايدة، بل بوصفها أدوات في الصراع اللاهوتي وبناء الهوية الجماعية.

وفي هذا السياق العلمي يتحدد موقع الكتاب - محل الترجمة - الذي بين أيدينا. فهو لا يكتفي بعرض نتائج النقد النصي أو بتسجيل الاختلافات بين المخطوطات، بل يتحرك نحو أفق اتجاه تفسيري يسعى إلى فهم معنى التغيير النصي ودلالاته. فالنصوص - كما يعالجها الكتاب - لا تتغير في فراغ، بل داخل عوالم اجتماعية ولاهوتية محددة؛ حيث تؤدي قضايا مثل الجدل حول طبيعة المسيح، أو موقع المرأة، أو العلاقة مع اليهود والوثنيين، دورًا مباشرًا في توجيه عملية النسخ والتلقي.

وتتجلى أهمية هذا المنهج في كونه يربط بين المستويات المختلفة للدراسة: بين المخطوط واللاهوت، وبين النص والهوية، وبين القراءة والسلطة. فالنقد النصي - في هذا الإطار - لا يُفهم بوصفه بحثًا عن "الأصل" فحسب، بل بوصفه دراسة لمسار تاريخي طويل شكّل النص ومعناه معًا. وهذا ما يمنح هذا الحقل قدرة تفسيرية تتجاوز حدود الدراسات المتخصصة الضيقة.

أما في السياق العربي، فإن تقديم هذا الحقل للقارئ المتخصص يكتسب أهمية مضاعفة. فالدراسات العربية المتعلقة بالمسيحية ونصوصها كثيرًا ما ظلت حبيسة مقاربات لاهوتية داخلية أو سجلات دينية خارجية،

دون اطلاع كافٍ على المناهج التاريخية النقدية التي تشكّل اليوم العمود الفقري للدراسات الأكاديمية العالمية. ومن ثمّ فإنّ هذا التمهيد لا يهدف إلى تهيئة القارئ لتبني نتائج بعينها، بل إلى تعريفه بمجال علمي قائم بذاته، له تاريخه، وأدواته، وأسئلته، وحدوده.

ومن هذا المنظور، ينبغي النظر إلى نقد النصوص المسيحية المبكرة لا بوصفه مجالاً خاصاً بالمسيحية وحدها، بل بوصفه جزءاً من تاريخ أوسع لدراسة النصوص الدينية، يمكن الاستفادة من مناهجه في مقاربات مقارنة، دون إسقاط أو تعميم. ففهم كيفية تشكّل النص، وانتقاله، وتفاعله مع الواقع الاجتماعي، يظل سؤالاً مركزياً في دراسة الأديان عموماً.

بهذا التمهيد، يُوضع الكتاب - محل الترجمة - في إطاره العلمي الصحيح، بوصفه عملاً ينتمي إلى قلب الدراسات المعاصرة للمسيحية المبكرة، ويسهم في تعميق الفهم التاريخي للنصوص، بعيداً عن التبسيط أو التوظيف الإيديولوجي. وهو تمهيد ضروري يمكن القارئ من الدخول إلى الكتاب على وعي بطبيعة المجال، وحدود البحث، ورهاناته المعرفية.

إن الكتاب الذي بين أيدينا واحدٌ من الأعمال المرجعية البارزة في دراسة المسيحية المبكرة ونقد نصوص العهد الجديد، لما يقدّمه من معالجة علمية متكاملة لمسألة تشكّل النصوص المسيحية وانتقالها وتحولها عبر الزمن، ولما يكشف عنه من تداخل معقّد بين التاريخ واللاهوت والممارسة الاجتماعية في صناعة النص الديني. ولا تنبع أهمية هذا الكتاب من كونه عرضاً فنياً أكاديمياً متخصصاً لقضايا النسخ والمخطوطات فحسب، بل من كونه محاولة منهجية لإعادة وضع النص المسيحي في سياقه الإنساني التاريخي، بوصفه

نتائجًا لفاعلين بشريين، وممارسات ثقافية، وصراعات فكرية، وليس مجرد وعاء جامد لعقائد ثابتة.

وغني عن البيان الأهمية التي تنطوي عليها ترجمة هذا الكتاب إلى العربية؛ إذ لا يضيف مجرد عنوان جديد إلى مكتبة الدراسات الدينية، بل يفتح أفقًا معرفيًا ومنهجيًا ظل محدود الحضور في الثقافة العربية الحديثة، هو أفق الدراسة التاريخية النقدية للنصوص المسيحية المبكرة. فالمكتبة العربية - على اتساعها - ما تزال تعاني نقصًا واضحًا في الأعمال المرجعية التي تتناول العهد الجديد من منظور نقدي متكامل يجمع بين النقد النصي، وتاريخ المسيحية المبكرة، وتحليل الخطاب اللاهوتي والاجتماعي، بعيدًا عن التناول الوعظي أو الجدل الإيديولوجي. ومن ثم تأتي هذه الترجمة لتسد فجوة علمية حقيقية، وتتيح للقارئ العربي الاطلاع المباشر على خطاب أكاديمي عالمي بأدواته وأسئلته وحدوده.

كما ينطلق الكتاب من رؤية منهجية ترى أن النصوص المقدسة - مهما بلغت مكانتها الدينية - لا يمكن فصلها عن شروط إنتاجها وتداولها. فالمسيحية - منذ نشأتها - لم تكن ديانة كتابية مكتملة البنية، بل حركة دينية ناشئة داخل فضاء يهودي - هلنستي غني بالتقاليد الشفهية والكتابية، حيث كانت النصوص تُكتب، وتُقرأ، وتُفسّر، وتُعاد صياغتها في ضوء حاجات الجماعة وأسئلتها وصراعاتها. ومن هذا المنطلق، يرفض الكتاب التصورات التبسيطية التي تفترض وجود "نص أصلي" نقي وثابت يمكن الوصول إليه بسهولة، ويقترح بدلًا من ذلك فهمًا تاريخيًا ديناميكيًا للنص، يرى فيه كيانًا حيًا خضع لعمليات مستمرة من النقل والتأويل والتعديل.

يعالج الفصل الأول بدايات الكتابة المسيحية في سياقها الديني والثقافي الأوسع، واضعًا المسيحية المبكرة في امتدادها اليهودي بوصفها ديانة كتابية نشأت داخل تقليد طويل من النص والتفسير. فالانتقال من الشفاهية إلى الكتابة لم يكن حدثًا محايدًا، بل فعلًا ذا دلالات معرفية وسلطوية، ارتبط بإعادة تعريف الهوية الجماعية للمسيحيين الأوائل. وتُقرأ الرسائل المسيحية المبكرة، وفي مقدمتها رسائل بولس، بوصفها وثائق ظرفية تعكس أزمات الجماعات الأولى، وخلافاتها اللاهوتية والتنظيمية، وسعيها إلى تثبيت سلطة تعليمية بعينها.

وفي السياق ذاته، يتناول الكتاب الأناجيل المبكرة بوصفها نتاجًا لعمليات جمع وتحرير وتأويل للتقاليد المتعلقة بشخصية يسوع، لا بوصفها سيرًا تاريخية بالمعنى الحديث. ويُظهر أن تعدد الأناجيل نفسه شاهدٌ على تنوع الرؤى اللاهوتية داخل المسيحية الأولى، وأن هذا التعدد لم يكن موضع إجماع، بل كان ساحة لصراع طويل انتهى بترسيخ أربعة أناجيل بوصفها معيارية وإقصاء غيرها. ولا يقف التحليل عند النصوص التي استقرت لاحقًا ضمن ما يُعرف بـ"القانون"، بل يتوسّع ليشمل أعمال الرسل، والرؤى الأخروية، والقوانين الكنسية، والأدب الدفاعي، وسير الشهداء، والكتابات الجدلية، والتفاسير المبكرة، مبرزًا أن سلطة النص تشكّلت من خلال شبكة معقدة من الاستخدام الطقسي، والتعليم، والقراءة العامة، والتفسير، والجدل العقائدي.

وتحظى مسألة تشكّل "قانون العهد الجديد" بمكانة مركزية في هذا العرض؛ إذ يبيّن الكتاب أن "القانون" لم يكن نتيجة قرار واحد أو لحظة فاصلة،

بل ثمرة مسار تاريخي طويل تداخلت فيه اعتبارات لاهوتية ومؤسسية. ويبرز دور شخصية مرقيون بوصفه شخصية مفصلية، لا لأنه اقترح قانوناً مرفوضاً فحسب، بل لأن مشروعه دفع الكنيسة الناشئة إلى إعادة التفكير في حدود النص المقبول ومعاييره، وأسهم - على نحو غير مباشر - في تسريع عملية تقنين النصوص التي ستُعد لاحقاً "أرثوذكسية".

ينتقل الفصل الثاني إلى عالم النُّسخ، كاشفاً عن البعد المادي والاجتماعي للنصوص المسيحية. فالنسخ - كما يبين الكتاب - لم يكن ممارسة تقنية بريئة، بل فعلاً ثقافياً مشبعاً بالافتراضات اللاهوتية والتربوية. ويقارن المؤلف بين تقاليد النسخ في العالم اليوناني - الروماني، حيث كانت النصوص تُنسخ في سياقات تعليمية احترافية، وبين النسخ في الدوائر المسيحية المبكرة، التي كثيراً ما اعتمدت على غير المحترفين أو على أفراد يرون في النسخ خدمة دينية. ويحلل أنواع التغييرات النصية، مميّزاً بين الأخطاء العرضية غير المتعمدة والتغييرات المتعمدة ذات الدوافع التفسيرية أو اللاهوتية، ومبرزاً أن مفهوم "النص الأصلي" ذاته يظل إشكالياً من الناحية المنهجية.

ومن خلال أمثلة شهيرة - مثل قصة المرأة الزانية أو الخاتمة الطويلة لإنجيل مرقس - يقدّم الكتاب نماذج تطبيقية لكيفية اشتغال النقد النصي، ويكشف عن الفجوة بين النص كما استقر في الوعي الكنسي، والنص كما تشهد له المخطوطات. وتُعرض هذه الأمثلة لا بوصفها تشكيكاً في قيمة النص، بل بوصفها مدخلاً لفهم تاريخ القراءة والتلقي والتأويل.

ويواصل الفصل الثالث هذا المسار من خلال تتبّع تاريخ نص العهد الجديد في المخطوطات والطبعات، ودور النُّسخ المحترفين، وأهمية

الفولجاتا اللاتينية، ثم التحولات التي أحدثتها الطباعة مع نشر النصوص اليونانية الأولى. ويولي الكتاب أهمية خاصة لملاحظات جون ميل النقدية وما أثارته من جدل واسع، بوصفها لحظة مفصلية في تاريخ الوعي بتاريخية النص المقدس، حيث اصطدمت التصورات التقليدية بثقل الشواهد النصية كما وردت في المخطوطات.

أما الفصل الرابع، فيقدّم تأريخًا لتطوّر النقد النصي بوصفه علمًا، مستعرضًا إسهامات أعلامه من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر، ومبيّنًا أن السعي وراء "الأصول" لم يكن مجرد بحث عن نص مفقود، بل مشروعًا عقلائيًا لفهم تاريخ النص عبر منهج علمي صارم. ويكشف هذا العرض أن كل مرحلة من مراحل النقد النصي عكست أسئلة عصرها وافتراضاته المعرفية.

ويأتي الفصل الخامس ليعرض المناهج الحديثة للنقد النصي، مميّزًا بين الأدلة الخارجية والداخلية، ومطبّقًا هذه المناهج على نصوص ذات أهمية لاهوتية تتعلق بصورة يسوع في الأناجيل والرسائل. ويبيّن الكتاب أن اختلافات نصية دقيقة قد تحمل دلالات لاهوتية عميقة، وأن اللاهوت لم يكن دائمًا سابقًا على النص، بل كثيرًا ما تشكّل من خلاله.

ويُعدّ الفصل السادس من أكثر فصول الكتاب كثافة تحليلية؛ إذ يربط بين التعديلات النصية والصراعات اللاهوتية في المسيحية المبكرة. فالقول بالتبني، والدوكتية، والانفصالية، لا تُعرض بوصفها مجرد "هرطقات" مدانة، بل بوصفها رؤى لاهوتية متنافسة تركت آثارها في النصوص نفسها. ويُظهر الكتاب كيف استُخدمت بعض التغييرات النصية أداةً لتأكيد تصور لاهوتي بعينه وإقصاء تصورات أخرى.

أما الفصل السابع، فيوسّع نطاق التحليل ليشمل العوالم الاجتماعية للنص، متناولاً علاقة النصوص المسيحية بالنساء، وباليهود، وبالوثنيين. ويكشف أن الاختلافات النصية المرتبطة بهذه الفئات تعكس استراتيجيات خطابية هدفت إلى تثبيت هوية الجماعة المسيحية وحدودها في عالم متعدّد ومتوترّ. وتكتسب هذه المعالجة أهمية خاصة للقارئ العربي المعاصر في ضوء الاهتمام المتزايد بدراسات الجندر، والهوية، والعلاقات بين الأديان.

وتخلص خاتمة الكتاب إلى أطروحة مركزية مفادها أن "تغيير الكتاب المقدس" توصيفٌ تاريخيٌ لمسار النص، لا حكمًا قيمياً عليه. فالكُتبة والمؤلفون والقراء شركاء في عملية مستمرة من إنتاج النص والمعنى، ولا يمكن فصل النص عن تاريخ تلقيه.

من كل ذلك تتجلى القيمة العلمية لترجمة هذا الكتاب إلى العربية. فهو يعرّف القارئ العربي تعريفاً منهجياً بعلم النقد النصي للعهد الجديد، ويقدم أدوات تحليلية يمكن الإفادة منها في مجالات أوسع، بما في ذلك تاريخ الأديان والدراسات النصية المقارنة. كما يتيح تناول قضايا شائكة - مثل تعدد القراءات، ودور الكُتبة، وحدود العصمة النصية - في إطار علمي هادئ بعيد عن السجال الاعتقادي. ويُنتظر أن يشكّل هذا العمل مرجعاً أساسياً لطلاب الدراسات العليا والباحثين في الدراسات المسيحية واليهودية وتاريخ الأفكار، وأن يسهم في ترسيخ ثقافة البحث النقدي الرصين في المجال الديني.

لقد سعى المترجمان عند التصدي لترجمة هذا الكتاب إلى العربية رغم وجود ترجمة سابقة له إلى تحرى أقصى درجات الدقة والأمانة العلمية، مع الحفاظ على المصطلحات النقدية وتكييفها مع السياق الأكاديمي العربي،

كلمة المترجمين

دون تسطيح أو إخلال بالمنهج التحليلي. ويأمل المترجمان أن تسهم هذه الترجمة في إدماج القارئ العربي في نقاشات علمية عالمية حول تاريخ المسيحية المبكرة ونصوصها، وأن تفتح مسارات جديدة للفهم والحوار والبحث المنهجي الرصين.

والله نسأل التوفيق والسداد والقبول

خريف ٢٠٢٥

مقدمة

شغل موضوع هذا الكتاب ذهني أكثر من أي موضوع آخر كتبته تقريبًا طوال الثلاثين عامًا الماضية، منذ أواخر سنوات مراهقتي حين بدأت دراسة العهد الجديد. ولأن هذا الموضوع صار جزءًا من تكويني منذ زمن بعيد، رأيت أن أبدأ بسرد شخصي يوضح لماذا كانت هذه المادة - ولا تزال - ذات أهمية بالغة بالنسبة لي.

يتناول هذا الكتاب المخطوطات القديمة للعهد الجديد والاختلافات التي وُجدت بينها، كما يتحدث عن النُسخ الذين نسخوا الأسفار المقدسة وأحيانًا غيَّروها. وقد لا يبدو هذا الموضوع واعدًا ليكون مدخلًا إلى السيرة الذاتية للكاتب، لكنه كذلك في حالتي. فالمرء لا يتحكم في مثل هذه الأمور. وقبل أن أشرح كيف، ولماذا أثرت مخطوطات العهد الجديد في عاطفيًا وفكريًا - في فهمي لنفسي، وللعالم الذي أعيش فيه، ولتصوري عن الرب والكتاب المقدس - يجدر بي أن أقدم خلفية شخصية.

وُلدت ونشأت في زمان ومكان محافظين، في قلب الولايات المتحدة، ابتداءً من منتصف خمسينيات القرن العشرين. لم تكن نشأتي استثنائية في شيء؛ كنا عائلة مكوّنة من خمسة أفراد، عادية إلى حد بعيد، نرتاد الكنيسة بانتظام دون أن نكون متدينين على نحو خاص. منذ كنت في الصف الخامس، ارتبطنا بكنيسة الأسقفية في لورنس بولاية كانساس، وهي كنيسة كان يرعاها قسٌّ حكيم طيب القلب، وكان أيضًا جارنا، وابنه أحد أصدقائي

(وقد ارتكبنا معًا بعض الحماقات لاحقًا في المرحلة الإعدادية - وكان للأمر علاقة بالسيجار!). وكحال كثير من الكنائس الأسقفية، كانت كنيستنا محترمة اجتماعيًا وملتزمة بالمسؤولية الاجتماعية. كانت تتعامل بجدية مع الطقوس الليتورجية، وكان الكتاب المقدس جزءًا من تلك الطقوس، لكن دون تشديد على هذا الأمر كثيرًا؛ إذ كان يُعتبر واحدًا من بين مصادر الإيمان والممارسة، إلى جانب تقاليد الكنيسة والعقل السليم. لم نكن نتحدث كثيرًا عن الكتاب المقدس أو نقرأ فيه كثيرًا، حتى في دروس مدارس الأحد التي كانت تركز أكثر على القضايا العملية والاجتماعية، وعلى كيفية العيش في هذا العالم.

ومع ذلك، كان للكتاب المقدس مكانٌ موقر في بيتنا، ولا سيما عند أمي، التي كانت تقرأ منه أحيانًا وتحرص على أن نفهم قصصه وتعاليمه الأخلاقية (وأقل من ذلك تعاليمه العقائدية). حتى المرحلة الثانوية، كنت أرى الكتاب المقدس كتابًا غامضًا ذا أهمية دينية ما، لكنه لم يكن بالنسبة لي شيئًا ينبغي دراسته أو التعمق فيه. كان يبدو لي كتابًا عتيقًا مرتبطًا بالرب والكنيسة والعبادة، لكنني لم أرَ سببًا يدعوني إلى قراءته بنفسه أو دراسته.

تغير كل ذلك تغيرًا جذريًا عندما كنت في الصف الثاني من المرحلة الثانوية. هناك، مررت بتجربة "الولادة الثانية" في بيئة تختلف تمامًا عن كنيسة طفولتي. كنت فتى "على الهامش" - طالبًا جيدًا، نشيطًا في الرياضة المدرسية دون تميز خاص، ومشاركًا في الحياة الاجتماعية دون أن أكون من نخبة المدرسة في أي من ذلك. أذكر أنني شعرت بفراغ داخلي لم يملأه شيء - لا الرفقة مع الأصدقاء (الذين بدأنا بالفعل نتورط في شرب الكحول في الحفلات)، ولا المواعدة الغرامية (حيث بدأنا نخطو إلى عالم الجنس

المهيب الغامض)، ولا الدراسة (كنت أجتهد وأنجح لكن دون تفوق)، ولا العمل (كنت أعمل بائعًا متجولًا لصالح شركة تبيع منتجات للمكفوفين)، ولا حتى الكنيسة (كنت شماسًا ومُتدينًا إلى حدٍّ ما - وكان لا بد أن أكون كذلك صباح الأحد، بالنظر إلى كل ما كان يحدث في ليالي السبت). كان هناك نوعٌ من الوحدة الملازمة لي في مرحلة المراهقة، لكنني لم أكن أدرك أنها جزء طبيعي من هذه المرحلة، فظننت أن شيئًا ما ينقصني.

عندها بدأت أشارك في اجتماعات نادي حياة الحرم الجامعي - شباب من أجل المسيح^(١)، كانت اللقاءات تُعقد في منازل الطلاب؛ أول اجتماع حضرته كان حفلة في فناء منزل أحد الطلاب المشهورين بين أقرانه، فاعتقدت أن المجموعة لا بأس بها وجديرة بالثقة. وكان يقودها شاب في العشرينيات يُدعى بروس، وكان هذا عمله الدائم: تنظيم نوادي الشباب هذه محليًا ومحاولة دعوة طلاب المدارس الثانوية ليصبحوا "مولودين من جديد" ثم إشراكهم في دراسات جادة للكتاب المقدس واجتماعات للصلاة وغيرها. كان بروس يتمتع بشخصية جذابة للغاية - أصغر من آبائنا سنًا لكنه أكبر منا تجربةً - وكان يحمل رسالة قوية: إن الفراغ الذي نشعر به (ونحن مراهقون،

(١) نادي حياة الحرم الجامعي - شباب من من أجل المسيح (Campus Life Youth for Christ Club): هو تجمع شبابي مسيحي إنجيلي، يُنظم لقاءات دورية لطلاب المدارس الثانوية والجامعات في أجواء غير رسمية، غالبًا في منازل الطلاب أو في مرافق تعليمية، ويتناول موضوعات تتعلق بالإيمان المسيحي والحياة الأخلاقية والاجتماعية للشباب. وهذا النادي جزء من منظمة الشباب الدولية من أجل المسيح (Youth for Christ International) وهي حركة تبشيرية إنجيلية عالمية تأسست في الولايات المتحدة في أربعينيات القرن العشرين، على يد مجموعة من القادة البروتستانت الشباب، من أبرزهم تورّي جونسون، وبدعم من المبشر المعروف بيلي جراهام. لمزيد من التفاصيل انظر: موقع المنظمة على شبكة الانترنت على الرابط التالي: <https://yfc.org> [المترجم]

كنا جميعًا نشعر بذلك!) سببه غياب المسيح عن قلوبنا، وأنه لو طلبنا منه الدخول فسيدخل ويملأنا بالفرح والسعادة التي لا يعرفها إلا "المُخَلَّصُونَ".

كان بروس يقتبس فقرات الكتاب المقدس بطلاقة مذهلة. ونظرًا لإجلالي للكتاب المقدس وجهلي به في الوقت نفسه، بدت لي كلماته مقنعة تمامًا، ومختلفة جدًا عما كنت أسمعه في الكنيسة ذات الطقوس القديمة الموجهة للكبار، وليس للمراهقين الباحثين عن المتعة والمغامرة، لكنهم يشعرون بالفراغ في داخلهم.

وباختصار، تعرفت إلى بروس أكثر، وقبلت رسالته عن الخلاص، وطلبت من يسوع أن يدخل قلبي، وخضت تجربة حقيقية للولادة الثانية. كنت قد وُلدت جسديًا قبل خمسة عشر عامًا فقط، لكن هذه كانت تجربة جديدة ومثيرة جعلتني أبدأ رحلة إيمانية طويلة مليئة بالتحويلات الكبرى، انتهت في طريق مسدود تبين لي لاحقًا أنه كان في الواقع طريقًا جديدًا، أسلكه حتى اليوم بعد أكثر من ثلاثين سنة.

نحن الذين خضنا تلك التجربة كنا نرى أنفسنا مسيحيين "حقيقيين" على خلاف أولئك الذين يذهبون إلى الكنيسة لمجرد العادة دون أن يسكن المسيح قلوبهم، فكانوا يمارسون الطقوس بلا جوهر. وكان أحد الفروق الأساسية بيننا وبينهم هو التزامنا بدراسة الكتاب المقدس والصلاة؛ وخاصة دراسة الكتاب المقدس. فقد كان بروس رجلًا كتابيًا بحق؛ درس في معهد مودي^(١)

(١) معهد مودي للكتاب المقدس (Moody Bible Institute): هو معهد لاهوتي إنجيلي بروتستانتي يقع في مدينة شيكاغو بولاية إلينوي بالولايات المتحدة الأمريكية. تأسس على يد المبشر الإنجيلي المعروف دوايت ليتمان مودي عام ١٨٨٦م بهدف تدريب الرجال والنساء على خدمة الإنجيل والتعليم المسيحي وفق العقيدة الإنجيلية المحافظة. يركز التعليم في

للكتاب المقدس في شيكاغو، وكان يستطيع أن يقتبس جوابًا من الكتاب لكل سؤال يمكن أن طرحه (بل وحتى لما لا يخطر ببالنا). وأصبحتُ أشعر بالغيرة من قدرته هذه، فانخرطت في دراسات كتابية بنفسى، أتعلم النصوص وأفهم معناها وأحفظ الفقرات الأساسية.

أقنعني بروس بأنه عليّ أن أكون مسيحيًا "جاذًا" وأن أكرّس حياتي تمامًا للإيمان المسيحي، وذلك يعني دراسة الكتاب المقدس بدوام كامل في معهد مودي للكتاب المقدس، وهو ما تطلّب تغييرًا جذريًا في نمط الحياة. كان على طلاب المعهد أن يوقعوا على "ميثاق" أخلاقي صارم: لا شرب، لا تدخين، لا رقص، لا لعب أوراق، لا سينما - والكثير من دراسة الكتاب المقدس. كما اعتدنا القول: "معهد مودي للكتاب المقدس، حيث الكتاب هو اسمنا الأوسط". بدا لي الأمر كأنه معسكر تدريب مسيحي، وقررت ألا أمارس إيماني بنصف قلب، فتقدمت إلى المعهد وقُبلت، وبدأت الدراسة هناك في خريف عام ١٩٧٣.

كانت تجربة معهد مودي عميقة التأثير. قررت أن أتخصص في لاهوت الكتاب المقدس، وكان ذلك يعني أنه يجب عليّ أن أدرس عددًا كبيرًا من مقررات تتعلق بدراسات الكتاب المقدس واللاهوت النظامي. كان ثمة

المعهد على الكتاب المقدس كمصدر نهائي للسلطة الدينية، ويُدرّس فيه اللاهوت النظامي، واللغات الكتابية (اليونانية والعبرية)، والتبشير، وخدمة الكنيسة، والدراسات الموسيقية الدينية، والإرشاد المسيحي. يتبنّى المعهد مبدأ "الوحي اللفظي الكامل"؛ أي أن الكتاب المقدس موحى به من الرب في كل كلماته، وهو خالٍ من الخطأ في أصوله، وهو موقف لاهوتي مميز داخل التيار الإنجيلي المحافظ. كما يمتلك المعهد كلية مودي اللاهوتية، ويدير إذاعة مسيحية مؤثرة تعرف باسم راديو مودي، وينشر كتبًا ومجلات مسيحية من خلال دار نشر مودي. لمزيد من التفاصيل انظر: الموقع الرسمي للمعهد على شبكة الانترنت على الرابط التالي: www.moody.edu [المترجم]

منظور واحد فقط يُدرّس في جميع المقررات، يلتزم به كل الأساتذة (إذ كان عليهم توقيع بيان التزام عقائدي)، وكذلك الطلاب: أن الكتاب المقدس هو كلمة الرب المعصومة من الخطأ، موحى بها بالكامل وفي كل ألفاظها - ما يُعرف بـ "الوحي التام في الألفاظ والمعاني". كل المقررات كانت تُبنى على هذا المبدأ وتدرّسه، وكان أي منظور آخر يُعتبر مضللاً أو حتى هرطوقياً. وربما وصف البعض ذلك بأنه غسيل دماغ، لكنه بالنسبة إليّ كان "ارتقاءً" هائلاً من النظرة الفاترة للكتاب المقدس التي نشأت عليها في الكنيسة الأسقفية. لقد كان هذا هو المسيحية الصلبة من أجل أولئك المتفانين بشكل كامل في العقيدة والسلوك.

لكن ظهرت مشكلة واضحة في الادعاء بأن الكتاب المقدس موحى به لفظياً حتى في كلماته ذاتها؛ إذ تعلمنا في أول دروس معهد مودي أننا لا نملك في الواقع النصوص الأصلية للعهد الجديد. ما نملكه هو نسخ من تلك النصوص، نُسخت بعد سنوات، بل بعد قرون في بعض الحالات. ولم تكن أي من تلك النسخ دقيقة تماماً، لأن النساخ الذين أنتجوها غيروها، عمدًا أو سهوًا، في مواضع متعددة - وكل النساخ فعلوا ذلك. وبالتالي، بدلاً من أن تكون لدينا الكلمات (الأصلية) الموحى بها في المخطوطات الأصلية، صار لدينا نسخٌ مليئةٌ بالأخطاء. كانت إحدى أهم المهام إذاً هي محاولة معرفة ما قالته النصوص الأصلية فعلاً، في ضوء حقيقتين: الأولى أنها موحى بها، والثانية أننا لا نملكها.

صحيح أن كثيرًا من زملائي في معهد مودي لم يروا في هذه المسألة أهمية كبرى، وكانوا يكتفون بالقول إن النصوص الأصلية وحدها الموحى

بها، متجاهلين ببساطة مشكلة أنها غير موجودة. أما بالنسبة لي، فقد كان الأمر بالغ الأهمية: فالرب أوحى بكلمات محددة، وإذا كنا نرغب في معرفة ما قاله، فلا بد أن نعرف ما كانت تلك الكلمات أصلاً؛ إذ لا جدوى من الاعتماد على كلمات (أنتجها النساخ سهواً أو عمداً) إن كنا نريد معرفة كلماته هو.

ومن هنا بدأ اهتمامي بمخطوطات العهد الجديد، وأنا بعدُ في الثامنة عشرة من عمري. تعلمتُ في معهد مودي أساسيات ما يُعرف بالنقد النصي - وهو المصطلح العلمي للدراسة التي تهدف إلى استعادة النص "الأصلي" من بين النسخ التي شابتها تغييرات. لكنني لم أكن بعدُ مؤهلاً تماماً للخوض في هذا المجال: كان عليّ أولاً أن أتعلم اليونانية، لغة العهد الجديد الأصلية، وربما أيضاً لغات أخرى قديمة مثل العبرية (لغة العهد القديم المسيحي)، واللاتينية، فضلاً عن لغات أوروبية حديثة مثل الألمانية والفرنسية، لأتمكن من الاطلاع على أبحاث العلماء الآخرين. لقد كان الطريق أمامي طويلاً.

وبعد أن أتممت ثلاث سنوات في معهد مودي (مدة الدراسة للحصول على الدبلوم)، كنت قد أحرزت نتائج ممتازة وأصبحت أكثر جدية من أي وقت مضى بشأن أن أكون باحثاً مسيحياً. كانت فكرتي آنذاك أن هناك كثيراً من العلماء المثقفين بين المسيحيين الإنجيليين، ولكن قليلاً جداً من الإنجيليين بين العلماء المثقفين في الأوساط الأكاديمية (العلمانية)، فأردت أن أكون "صوتاً" إنجيلياً في تلك الدوائر، بالحصول على درجات علمية تخوّلني التدريس في الجامعات العلمانية مع الحفاظ على التزاماتي الإنجيلية. لكن كان عليّ أولاً أن أكمل درجة البكالوريوس، ولهذا قررت الالتحاق بكلية إنجيلية مرموقة؛ فاخترت كلية ويتون^(١) في إحدى ضواحي شيكاغو.

(١) كلية ويتون (Wheaton College): هي جامعة مسيحية إنجيلية خاصة تقع في مدينة ويتون

حذروني في معهد مودي من أنني قد أواجه صعوبة في العثور على مسيحيين حقيقيين في كلية ويتون - وهو ما يُظهر مدى التشدد الأصولي في معهد مودي؛ فكلية ويتون مخصصة أصلاً للمسيحيين الإنجيليين، وهي الجامعة الأم للواعظ الشهير بيلي جراهام على سبيل المثال.. وفي البداية، وجدتُها فعلاً ليبرالية بعض الشيء بالنسبة لميولي. كان الطلاب هناك يتحدثون عن الأدب، والتاريخ، والفلسفة أكثر من حديثهم عن الوحي اللفظي للكتاب المقدس. صحيح أنهم كانوا يفعلون ذلك من منظور مسيحي، لكن مع ذلك كنت أتساءل: ألم يدركوا ما هو الشيء المهم حقاً؟

قررتُ أن أتخصص في الأدب الإنجليزي في كلية ويتون؛ إذ كانت القراءة منذ زمن بعيد إحدى اهتماماتي الكبرى، وكنت أعلم أن اقتحام دوائر البحث الأكاديمي يتطلب أن أكون متمكناً من مجال معرفي آخر غير دراسة الكتاب المقدس. كما قررت أن ألتزم بتعلّم اللغة اليونانية. وفي الفصل الدراسي الأول لي في ويتون، التقيت الدكتور جيرالد هوثورن (Gerald Hawthorne) أستاذ اللغة اليونانية، الذي أصبح فيما بعد شخصية مؤثرة بعمق في حياتي كعالم، ومعلّم، وصديق في نهاية المطاف. كان هوثورن، مثل معظم أساتذتي في ويتون، مسيحياً إنجيلياً مكرّساً لإيمانه، لكنه لم يكن يخشى طرح الأسئلة عن معتقداته. في ذلك الوقت، كنت أرى في هذا الموقف علامة ضعف

بولاية إلينوي في الولايات المتحدة الأمريكية. تأسست عام ١٨٦٠م وتُعدّ واحدة من أبرز المؤسسات الأكاديمية في العالم الإنجيلي البروتستانتي المحافظ. تهدف الكلية إلى الجمع بين التفوق الأكاديمي والإيمان المسيحي الإنجيلي، وتُعرف بشعارها الشهير "من أجل المسيح وملكوته". من أشهر خريجيه بيلي جراهام أحد أبرز الوعاظ الإنجيليين في القرن العشرين، وجون باير وهو لاهوتي إنجيلي بارز، ومارك نول مؤرخ الفكر المسيحي الحديث. لمزيد من التفاصيل انظر: الموقع الرسمي للكلية على شبكة الانترنت على الرابط التالي:

[المترجم] www.wheaton.edu

(في الحقيقة كنت أظن أنني أملك تقريبًا جميع الإجابات عن الأسئلة التي يطرحها)، لكنني مع مرور الوقت أدركت أن ذلك تعبيرٌ حقيقي عن الالتزام بالحق، وعن الاستعداد للانفتاح على إمكانية أن تُراجع آراؤنا في ضوء المعرفة الأعمق وتجارب الحياة.

كانت تجربة تعلّم اللغة اليونانية ممتعة ومثيرة للغاية بالنسبة لي. واتضح لي أنني أجيد أساسيات اللغة، وكنت دائم التطلّع إلى المزيد. إلا أنّ التجربة على مستوى أعمق، بدأت تثير اضطرابًا في نفسي وفي نظرتي إلى النص المقدّس. فقد أدركت مبكرًا أنّ الفهم الكامل لمعاني النص اليوناني للعهد الجديد لا يمكن إدراكه إلا بقراءته ودراسته بلغته الأصلية (وقد وجدت الأمر نفسه لاحقًا حين تعلمت اللغة العبرية لقراءة العهد القديم). وهذا ما جعلني أزداد قناعة بضرورة إتقان اللغة إتقانًا تامًا. لكن في الوقت ذاته، بدأت هذه التجربة تدفعني إلى التساؤل عن مفهوم الوحي الذي كنت أتبناه - أي أنّ الكتاب المقدس هو كلمة الرب الموحى بها لفظيًا. فإن كان الفهم الكامل لكلمات الكتاب المقدس لا يُنال إلا بدراسة اليونانية (والعبرية)، فهل يعني هذا أنّ معظم المسيحيين، الذين لا يقرأون هذه اللغات القديمة، لن يتسنى لهم الوصول الكامل إلى ما يريد الرب أن يُعلّمهم إياه؟ وهل يجعل هذا من عقيدة الوحي عقيدة قاصرة على النخبة الأكاديمية التي تملك المهارة والوقت لتعلّم اللغات ودراسة النصوص بلغتها الأصلية؟ وما الجدوى من القول إنّ الكلمات موحى بها من الرب، إذا كان أغلب الناس لا يصلون إليها إلا عبر ترجمات ناقصة أو متعثرة إلى لغات أخرى كالإنجليزية لا تمتّ بصلة إلى الكلمات الأصلية؟

ازدادت أسئلتني تعقيداً حين بدأت أفكر في المخطوطات التي تنقل إلينا هذه الكلمات. فكلما تعمّقت في دراسة اليونانية، ازداد اهتمامي بالمخطوطات التي حفظت لنا العهد الجديد، وبعلم النقد النصي الذي يُفترض أنه يساعدنا على إعادة بناء النص الأصلي للعهد الجديد. غير أنني كنت أعود دومًا إلى السؤال الجوهرى نفسه: ما الفائدة من القول إنّ الكتاب المقدس هو كلمة الرب المعصومة من الخطأ، إذا كنا في الواقع لا نملك الكلمات التي أوحى الرب بها، بل فقط نُسخًا منقولة عن الكتّبة - أحيانًا بدقّة، وأحيانًا (بل في كثير من الأحيان) على نحو غير صحيح؟ وما الجدوى من القول إنّ النصوص الأصلية كانت موحى بها؟ ونحن لا نملك النصوص الأصلية أصلًا! كل ما لدينا هو نُسخ مليئة بالأخطاء، ومعظمها كُتبت بعد قرون من الأصول، وتختلف عنها في آلاف المواضع.

لقد كانت تلك الشكوك تلاحقني باستمرار، لكنها في الوقت ذاته دفعتني إلى الغوص أعمق لفهم ما هو الكتاب المقدس حقًا. أكملتُ دراستي الجامعية في ويتون خلال عامين، وقررت - تحت إشراف الأستاذ هوثورن - أن أكرّس نفسي لدراسة النقد النصي للعهد الجديد من خلال التوجه للدراسة مع خبير عالمي رائد في هذا المجال، وهو الباحث بروس إم. ميتسجر (Bruce M. Metzger) الذي كان عضو هيئة التدريس في الكلية اللاهوتية ببرنستون.

حذرني أصدقائي الإنجيليون مرة أخرى من الالتحاق بالكلية اللاهوتية ببرنستون؛ إذ أخبروني أنني سأواجه صعوبة في العثور على أي مسيحيين "حقيقيين" هناك، فقد كانت، بعد كل شيء، كلية لاهوتية مشيخية، وليست بالضبط أرضًا خصبة للمسيحيين المولودين من جديد. لكن دراستي للأدب

الإنجليزي والفلسفة والتاريخ - ناهيك عن اليونانية - قد وسعت آفاقي بشكل كبير، وأصبح شغفي الآن المعرفة من كل نوع، الدينية المقدسة وغير الدينية/ الدنيوية على حد سواء. إذا كان تعلم "الحقيقة" يعني أنني لن أستطيع بعد الآن أن أتعاطف مع المسيحيين المولودين من جديد الذين عرفتهم في المدرسة الثانوية، فليكن. كنت مصممًا على متابعة رحلتي في طلب الحقيقة أينما قادتني، واثقًا أن أي حقيقة أتعلمها لا تقل صحة أو قيمة لمجرد أنها غير متوقعة أو صعبة التوفيق مع التصنيفات التي وفرتها لي خلفيتي الإنجيلية.

عند وصولي إلى الكلية اللاهوتية ببرنستون، سجلت على الفور في دروس التفسير العبري واليوناني للسنّة الأولى، وحملت جدولتي قدر الإمكان بهذه الدروس. وجدت هذه الدروس تحديًا، سواء على المستوى الأكاديمي أو الشخصي. كان التحدي الأكاديمي مرحبًا به تمامًا، لكن التحديات الشخصية التي واجهتها كانت صعبة إلى حد ما من الناحية العاطفية. كما أشرت سابقًا، كنت قد بدأت بالفعل في ويتون أشكك في بعض الجوانب الأساسية للترامي بالكتاب المقدس باعتباره كلمة الرب المعصومة من الخطأ. وقد تعرّض هذا الالتزام لهجوم جدي في دراساتي التفصيلية في برنستون. قاومت أي إغراء لتغيير آرائتي، ووجدت عددًا من الأصدقاء الذين، مثلي، جاءوا من مدارس إنجيلية محافظة وكانوا يحاولون "الحفاظ على الإيمان" (وهو تعبير مضحك بالنظر إلى الوراثة - إذ كنا، بعد كل شيء، في برنامج ديني مسيحي). لكن دراساتي بدأت تضغط عليّ وتلاحقني.

جاءت نقطة التحول في فصلي الدراسي الثاني، في مقرر كنت أدرسه مع أستاذ موقرّ صاحب تقوى وورع اسمه كولين ستوري (Cullen Story). كان

المقرر عن تفسير إنجيل مرقس، الذي كان (وما يزال) إنجيلي المفضل. في هذا المقرر، كان علينا أن نتمكّن من قراءة إنجيل مرقس بالكامل باليونانية (لقد حفظت جميع مفردات الإنجيل باليونانية في الأسبوع الذي سبق بدء الفصل الدراسي)؛ وكان مطلوبًا منا الاحتفاظ بمذكرة تفسيرية عن تأملاتنا في تفسير المقاطع الرئيسة؛ وناقشنا المشكلات المتعلقة بتفسير النص؛ وكان علينا كتابة بحث نهائي عن نقطة تفسيرية محورية من اختيارنا بأنفسنا. اخترت مقطعًا من مرقس ٢، حيث واجه الفريسيون يسوع لأن تلاميذه كانوا يسيرون في حقل حبوب ويأكلون الحبوب في يوم السبت. أراد يسوع أن يوضح للفريسيين أن "السبت خُلق للإنسان، وليس الإنسان للسبت"، فذكرهم بما فعله الملك العظيم داود عندما كان هو ورجاله جائعين، وكيف دخلوا الهيكل "حين كان أبياتار الكاهن الأعظم" وأكلوا خبز الوجه^(١)، الذي كان مخصصًا فقط للكهنة. إحدى المشكلات المعروفة في هذا المقطع هي أنه عند النظر إلى المقطع في العهد القديم الذي يستشهد به يسوع (صموئيل الأول ٢١: ١-٦)، يتضح أن داود لم يفعل ذلك حين كان أبياتار الكاهن الأعظم، بل فعله فعليًا حين كان أحيمالك أبو أبياتار هو الكاهن الأعظم. بعبارة أخرى، هذا أحد تلك المقاطع التي أُشير إليها لإظهار أن الكتاب المقدس ليس معصومًا تمامًا، بل يحتوي على أخطاء.

(١) خبز الوجه/ خبز الحضور: بالعبرية "לֶחֶם הַפָּנִים" ليحم هبانيم: "كان يُوضَع دائمًا على مائدة في خيمة الاجتماع أو الهيكل كرمز لحضور الرب المستمر بين شعبه، وكان يُستبدل كل أسبوع. وقد ورد في الخروج ٢٥: ٣٠؛ اللاويين ٢٤: ٥-٩؛ صموئيل الأول ٢١: ١-٦. والخبز عبارة عن اثني عشر رغيفًا مخصصًا للكهنة فقط لأنه جزء من طقوس الخدمة في الهيكل ويعد مقدسًا للغاية. ويستشهد يسوع بهذه القصة عند مواجهة الفريسيين في مرقس ٢: ٢٣-٢٨ موجهًا إلى أن القوانين والتشريعات الدينية لا يجب أن تُطبق بشكل جامد على حساب حاجات الإنسان؛ فالقانون الإلهي يهدف لخدمة الناس لا لتقييد حركتهم فقط. [المترجم]

في ورقتي الأكاديمية المقدمة للبروفيسور ستوري، طوّرتُ حجة طويلة ومعقّدة تشير إلى أنه على الرغم من أن مرقس يذكر أن هذا حدث "حين كان أبياتار الكاهن الأعظم"، إلا أن ذلك لا يعني فعليًا أن أبياتار كان الكاهن الأعظم، بل أن الحدث وقع في جزء من النص الكتابي الذي يظهر فيه أبياتار كأحد الشخصيات الرئيسة. كانت حجتي مستندة إلى معنى الكلمات اليونانية المستخدمة في النص، وكانت معقدة بعض الشيء. كنت متأكدًا تقريبًا أن البروفيسور ستوري سيقدر الحجة، لأنني كنت أعرفه كعالم مسيحي صالح وكان من الواضح أنه (مثلي) لن يظن أبدًا أنه يمكن أن يكون هناك أي خطأ حقيقي في الكتاب المقدس. لكن في نهاية ورقتي كتبت تعليقًا بسيطًا من سطر واحد فقط، ولسبب ما اخترق هذا التعليق قلبي مباشرة. كتب: "ربما ارتكب مرقس خطأ فقط". بدأت أفكر في الأمر، مع الأخذ في الاعتبار كل الجهد الذي بذلته في الورقة، مدركًا أنني اضطررت إلى القيام ببعض التفسيرات المعقدة لتجاوز المشكلة، وأن الحل الذي قدمته كان في الواقع مبالغة بسيطة. وأخيرًا استنتجت: "همم... ربما ارتكب مرقس خطأ فعلاً".

بمجرد أن اعترفت بذلك، انفتحت السدود. فإذا كان يمكن أن يكون هناك خطأ صغير وتافه في مرقس ٢، فربما يمكن أن توجد أخطاء في أماكن أخرى أيضًا. ربما، عندما يقول يسوع لاحقًا في مرقس ٤ إن حبة الخردل هي "أصغر جميع الحبوب على الأرض"، ربما لا أحتاج إلى ابتكار تفسير معقد لكيفية أن حبة الخردل هي "أصغر جميع الحبوب" بينما أعلم جيدًا أنها ليست كذلك. وربما تنطبق هذه "الأخطاء" على قضايا أكبر. ربما، عندما يقول مرقس إن يسوع صُلب في اليوم التالي بعد أكل وجبة الفصح (مرقس ١٤:

١٢؛ ١٥ : ٢٥) ويقول يوحنا إنه مات في اليوم الذي سبق أكلها (يوحنا ١٩ : ١٤)، ربما يكون ذلك اختلافًا حقيقيًا. أو عندما يشير لوقا في روايته لميلاد يسوع إلى أن يوسف ومريم عادًا إلى الناصرة بعد شهر تقريبًا من مجيئهما إلى بيت لحم (وأداء طقوس التطهير؛ لوقا ٢ : ٣٩)، بينما يشير متى إلى أنهما هربًا إلى مصر بدلًا من ذلك (متى ٢ : ١٩ - ٢٢)، ربما يكون هذا اختلافًا أيضًا. أو عندما يقول بولس إنه بعد تحوله في الطريق إلى دمشق لم يذهب إلى أورشليم لزيارة الذين كانوا رسلًا قبله (غلاطية ١ : ١٦ - ١٧)، بينما يقول سفر أعمال الرسل إن هذا كان أول ما فعله بعد خروجه من دمشق (أعمال الرسل ٩ : ٢٦)، ربما يكون هذا اختلافًا حقيقيًا.

تزامنت هذه النوعية من الإدراك مع المشاكل التي كنت أواجهها عندما درست عن كتب المخطوطات اليونانية الباقية من العهد الجديد. فمن ناحية، القول إن النسخ الأصلية كانت من الوحي، أمر واحد، لكن الحقيقة هي أننا لا نملك النسخ الأصلية؛ لذا فإن القول بأنها من الوحي لا يساعد كثيرًا، ما لم أتمكن من إعادة بناء النسخ الأصلية. علاوة على ذلك، الغالبية العظمى من المسيحيين على مدار تاريخ الكنيسة لم تتح لهم الفرصة للوصول إلى النسخ الأصلية، مما يجعل مسألة كونها من الوحي أمرًا جدليًا. وليس فقط أننا لا نملك النسخ الأصلية، بل لا نملك النسخ الأولى من النسخ الأصلية. بل لا نملك حتى نسخًا من نسخ النسخ الأصلية، أو نسخًا من نسخ النسخ الأصلية. ما نملكه هي نسخ أُعدت لاحقًا - في وقت متأخر للغاية. في معظم الحالات، هي نسخ أُعدت بعد عدة قرون. وكل هذه النسخ تختلف عن بعضها البعض في العديد من المواضع. وكما سنرى لاحقًا في هذا الكتاب، هذه النسخ

تختلف عن بعضها البعض في العديد من المواضع بحيث أننا لا نعرف حتى عدد هذه الاختلافات. وربما يكون من الأسهل وضع الأمر بطريقة مقارنة: هناك اختلافات بين مخطوطاتنا أكثر من عدد الكلمات في العهد الجديد.

معظم هذه الاختلافات غير جوهرية ولا تُذكر. يوضح جزءٌ كبيرٌ منها لنا ببساطة أن النُسخ في العصور القديمة لم يكونوا يجيدون الإملاء أفضل من معظم الناس اليوم (ولم يكن لديهم حتى قواميس، ناهيك عن التدقيق الإملائي). ومع ذلك، ماذا يعني كل هذا من الناحية العملية؟ إذا أراد المرء أن يصبر على أن الرب أوحى بكلمات الكتاب المقدس نفسها، فما الفائدة إذا لم نمتلك الكلمات نفسها للكتاب المقدس؟ في بعض المواضع - كما سنرى - لا يمكننا ببساطة التأكد من أننا أعدنا بناء النص الأصلي بدقة. من الصعب جدًا معرفة معنى كلمات الكتاب المقدس إذا لم نكن نعرف حتى ما هي الكلمات نفسها!

أصبح هذا مشكلة بالنسبة لرؤيتي حول الوحي، لأنني أدركت أنه لم يكن من الصعب على الرب أن يحفظ كلمات الكتاب المقدس من أن يُوحى بها في المقام الأول. إذا أراد أن يكون لشعبه كلماته الخاصة، فمن المؤكد أنه كان سيمنحهم إياها (وربما حتى بالكلمات بلغة يمكنهم فهمها، بدل اليونانية والعبرية). حقيقة أننا لا نملك هذه الكلمات، يجب أن يكشف - كما استنتجت - أنه لم يحفظها لنا. وإذا لم يقم بهذه المعجزة، فلم يكن هناك سبب للاعتقاد بأنه أجرى المعجزة السابقة بإلهام تلك الكلمات.

باختصار، دراستي للعهد الجديد اليوناني، وتحقيقاتي في المخطوطات التي تحتويه، أدت إلى إعادة تفكير جذرية في فهمي لماهية الكتاب المقدس.

كان هذا تحولاً هائلاً بالنسبة لي. قبل ذلك - ابتداءً من تجربتي الجديدة في المدرسة الثانوية، مروراً بأيامي الأرثوذكسية في معهد مودي، وحتى أيامي الإنجيلية في كلية ويتون - كان إيماني قائماً تماماً على رؤية معينة للكتاب المقدس باعتباره كلمة الرب الكاملة الملهمة والخالية من الخطأ. الآن، لم أعد أرى الكتاب المقدس بهذه الطريقة. بدأ الكتاب المقدس يظهر لي ككتاب بشري جداً. تماماً كما نسخ الكتاب البشريون وغيروا نصوص الكتاب المقدس، كذلك كتب المؤلفون البشريون النصوص الأصلية للكتاب المقدس. كان هذا كتاباً بشرياً من البداية إلى النهاية. كتبه مؤلفون بشريون مختلفون في أزمنة وأماكن مختلفة لتلبية احتياجات مختلفة. لا شك أن العديد من هؤلاء المؤلفين شعروا أن ما كتبوه هو وحي من الرب إليهم، لكن كان لديهم وجهات نظرهم الخاصة، معتقداتهم الخاصة، آراؤهم الخاصة، احتياجاتهم الخاصة، رغباتهم الخاصة، فهمهم الخاص، ولاهوتهم الخاص؛ وهذه كلها أثرت في كل ما كتبوه. وفي كل ذلك، كانوا يختلفون عن بعضهم البعض. من بين أمور أخرى، هذا يعني أن مرقس لم يقل نفس ما قاله لوقا لأنه لم يقصد نفس ما قصده لوقا. يختلف يوحنا عن متى - ليس هو نفسه. يختلف بولس عن سفر الأعمال. ويعقوب يختلف عن بولس. كل مؤلف هو مؤلف بشري ويجب قراءته من منظور ما يقوله هو (على افتراض أنهم كلهم رجال)، وليس بافتراض أن ما يقوله متوافق أو متسق مع ما يقوله كل مؤلف آخر. في نهاية المطاف، الكتاب المقدس هو كتاب بشري جداً.

كانت هذه وجهة نظر جديدة بالنسبة لي، ومن الواضح أنها ليست الرؤية التي كنت أتبناها عندما كنت مسيحياً إنجيلياً - ولا هي رؤية معظم الإنجيليين

اليوم. دعوني أعطي مثالاً يوضح الفرق الذي يمكن أن تحدثه وجهة نظري المتغيرة في فهم الكتاب المقدس. عندما كنت في معهد مودّي للكتاب المقدس، كان أحد أكثر الكتب شعبية في الحرم الجامعي هو كتاب النبوءات لهال ليندسي (Hal Lindsey) حول مستقبلنا، بعنوان "الكرة الأرضية العظيمة الأخيرة"^(١). لم يكن كتاب ليندسي شائعاً في معهد مودّي فقط؛ بل كان، في الواقع، الأكثر مبيعاً بين الأعمال غير الروائية (باستثناء الكتاب المقدس، وباستخدام مصطلح "غير الروائي" بطريقة متساهلة بعض الشيء) في اللغة الإنجليزية خلال سبعينيات القرن العشرين. كان ليندسي - مثلنا نحن في معهد مودّي - يؤمن بأن الكتاب المقدس خالٍ تماماً من الخطأ في كلماته نفسها، إلى درجة أنه يمكنك قراءة العهد الجديد ومعرفة ليس فقط كيف يريد الرب أن تعيش وما الذي يريدك أن تؤمن به، بل أيضاً ما الذي كان الرب يخطط لفعله في المستقبل وكيف سينفذه. كان العالم يتجه نحو أزمة غيبية أخروية ذات أبعاد كارثية، ويمكن قراءة كلمات الكتاب المقدس الخالية من الخطأ لمعرفة ما الذي سيحدث، وكيف، ومتى.

(١) يقصد به كتاب "The Late Great Planet Earth" نُشر لأول مرة عام ١٩٧٠. يعد هذا الكتاب من أبرز الأعمال التي تناولت نبوءات الكتاب المقدس المتعلقة بنهاية العالم، وقد حقق مبيعات ضخمة تجاوزت ٢٨ مليون نسخة وترجم إلى ٥٤ لغة ليس من بينها العربية، مما جعله واحداً من أكثر الكتب تأثيراً في مجال النبوءات المسيحية. يركز الكتاب على تفسير نبوءات الكتاب المقدس، خاصة في سفر دانيال وحزقيال والرؤيا، ويقارنها بالأحداث السياسية والعسكرية المعاصرة في سبعينيات القرن العشرين. يستند ليندسي إلى فكرة أن تأسيس دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ هو بداية "جيل" يشير إليه يسوع في متى ٢٤: ٣٤، مما يعني أن "نهاية العالم" قد تكون وشيكة. من أبرز التنبؤات التي طرحها ليندسي ظهور الاتحاد الأوروبي؛ حيث رآه بمثابة "إمبراطورية رومانية جديدة" يقودها المسيح الدجال. وكذلك تنبأ بوقوع غزو روسي لإسرائيل استناداً إلى نبوءات حزقيال ٣٨؛ حيث يُتوقع أن يغزو جيش من "ماجوج" إسرائيل. كما تنبأ بوقوع حرب عالمية ثالثة؛ حيث تحدث عن صراع نووي يؤدي إلى دمار واسع. [المترجم]

كنت متأثراً بشكل خاص بالسؤال "متى". أشار ليندسي إلى مثل شجرة التين ليسوع كمؤشر على متى يمكن أن نتوقع الهجوم النهائي في المستقبل (أرمجدون). كان تلاميذ يسوع يريدون أن يعرفوا متى ستأتي "النهاية"، فيجيب يسوع:

"تَعَلَّمُوا مِنْ شَجَرَةِ التِّينِ هَذَا الْمَثَل: متى يَرِقُّ غُصْنُهَا وَيُخْرِجُ أَوْرَاقَهُ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. هَكَذَا أَنْتُمْ، متى رَأَيْتُمْ كُلَّ هَذِهِ فَاغْلُمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ، عِنْدَ أَبْوَابٍ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمُرُّ هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ كُلُّ هَذَا" (متى ٢٤: ٣٢-٣٤)

ماذا يعني هذا المثل؟ قام ليندسي - باعتباره يظن أن هذا المثل كلمة الرب المعصومة حرفياً - بتفسير معناه مشيراً إلى أن "شجرة التين" في الكتاب المقدس تُستخدم غالباً كرمز لأمة إسرائيل. فماذا يعني أن تخرج أوراقها؟ يعني أن الأمة، بعد أن ظلت خاملة لفترة (الشتاء)، ستعود للحياة. ومتى عادت إسرائيل للحياة؟ في عام ١٩٤٨، عندما أصبحت إسرائيل مرة أخرى دولة ذات سيادة. يشير يسوع إلى أن النهاية ستحدث خلال الجيل ذاته الذي وقعت فيه هذه الأحداث. وكم تبلغ مدة الجيل في الكتاب المقدس؟ أربعون سنة. ومن هنا جاءت التعاليم الملهمة إلهياً، مباشرة من فم يسوع: النهاية ستأتي قبل عام ١٩٨٨؛ أي بعد أربعين عاماً من ظهور إسرائيل مجدداً.

كانت هذه الرسالة مؤثرة جداً بالنسبة لنا. قد يبدو الأمر غريباً الآن - بالنظر إلى أن عام ١٩٨٨ قد مضى دون حدوث أرمجدون - ولكن هناك ملايين من المسيحيين الذين ما يزالون يعتقدون أن الكتاب المقدس يمكن قراءته حرفياً باعتباره ملهماً بالكامل في تنبؤاته بما سيحدث قريباً لينتهي التاريخ كما نعرفه.

ومن الأمثلة الحديثة على هذا الاعتقاد سلسلة ليفت بيهاند (Left Behind)^(١) للمؤلفين تيم لاهاي (Tim LaHaye) وجيري جنكينز (Jerry Jenkins)، وهي رؤية غيبية أخروية مستقبلية أخرى تستند إلى قراءة حرفية للكتاب المقدس، وقد بيعت أكثر من ستين مليون نسخة في عصرنا.

يمثل هذا تحولاً جذرياً من قراءة الكتاب المقدس باعتباره نصاً معصوماً لحياتنا وإيماننا ومستقبلنا إلى رؤيته ككتاب بشري جداً، يحتوي على وجهات نظر بشرية متعددة تختلف عن بعضها البعض، ولا يقدم أي منها دليلاً خالياً من الخطأ لكيفية العيش. هذا هو التحول في تفكيري الذي انتهيت إليه، والذي ألتزم به بالكامل الآن. بالطبع، لم يعتنق العديد من المسيحيين هذه القراءة الحرفية للكتاب المقدس منذ البداية، ومن منظورهم قد يبدو هذا الرأي أحادي الجانب وغير متوازن (ناهيك عن أنه غريب وغير مرتبط بمسائل الإيمان). ومع ذلك، هناك الكثير من الأشخاص الذين ما يزالون يرون الكتاب المقدس بهذه الطريقة. أحياناً أرى ملصق سيارة مكتوب عليه: "قال الرب، أو من بذلك، وهذا يحسم الأمر". وردي دائماً: ماذا لو لم يقل الرب ذلك؟ ماذا لو احتوى الكتاب الذي تعتبره كلمات الرب على كلمات

(١) ليفت بيهاند (Left Behind): هي سلسلة روايات خيالية من تأليف تيم لاهاي وجيري بي. جنكينز. تدور أحداث السلسلة حول فترة "الضيق العظيم" التي تلي "الاختطاف"؛ حيث يُرفع المؤمنون الحقيقيون إلى السماء، ويترك غير المؤمنين في عالم مليء بالفوضى. تتبع السلسلة مغامرات مجموعة من الشخصيات، بما في ذلك الصحفي كامرون "باك" ويليامز، والطيار راي ستيل، الذين يتحولون إلى "قوة الضيق" لمقاومة حكم المسيح الدجال، نيكولاي كارباثيا، الذي يسيطر على الأمم المتحدة ويؤسس حكومة عالمية. تُظهر هذه الأعمال تأثيراً كبيراً على الثقافة المسيحية الإنجيلية؛ حيث ساهمت في تعزيز الاهتمام بنبوءات نهاية العالم وتفسيرها بشكل حرفي. ومع ذلك، فقد واجهت انتقادات من قبل بعض المفكرين المسيحيين، الذين يرون أن هذه التفسيرات قد تكون مبسطة أو غير دقيقة. [المترجم]

بشرية؟ ماذا لو لم يقدم الكتاب المقدس إجابات موثوقة لمسائل العصر الحديث - مثل الإجهاض، وحقوق النساء، وحقوق المثليين، والتفوق الديني، والديمقراطية الغربية، وما شابه؟ ماذا لو اضطررنا لاكتشاف كيفية العيش وما نؤمن به بأنفسنا، دون تحويل الكتاب المقدس إلى صنم زائف - أو عرافة تعطينا خط اتصال مباشر مع الرب؟ هناك أسباب واضحة للاعتقاد - كما أشرت - أن الكتاب المقدس ليس دليلاً خالياً من الخطأ لحياتنا: ففي أماكن عديدة، نحن (سواء كعلماء أو قراء عاديين) لا نعرف حتى ماذا كانت الكلمات الأصلية للكتاب المقدس.

لقد تغير لاهوتي الشخصي جذرياً مع هذا الإدراك، مما أخذني في طرق مختلفة تماماً عن تلك التي سلكتها في أواخر مراهقتي وأوائل العشرينيات من عمري. وما زلت أقدرُ الكتاب المقدس والرسائل المتنوعة التي يحتويها، تماماً كما أصبحتُ أقدرُ كتابات المسيحيين الأوائل من الفترة نفسها تقريباً وبعدها، وكتابات شخصيات أقل شهرة مثل إجنطايوس الأنطاكي، وإكليمندس الروماني، وبرنابا السكندري، وكذلك كتابات أشخاص من ديانات أخرى في الفترة نفسها تقريباً، مثل يوسفوس، لوسيان الساموسي، وبلوتارخ. كل هؤلاء المؤلفين كانوا يحاولون فهم العالم ومكانهم فيه، ولهم جميعاً ما يفيدنا في التعلم. من المهم معرفة كلمات هؤلاء المؤلفين، لنتمكن من فهم ما قالوه، ومن ثمَّ الحكم بأنفسنا على ما نفكر به وكيف نعيش بناءً على تلك الكلمات.

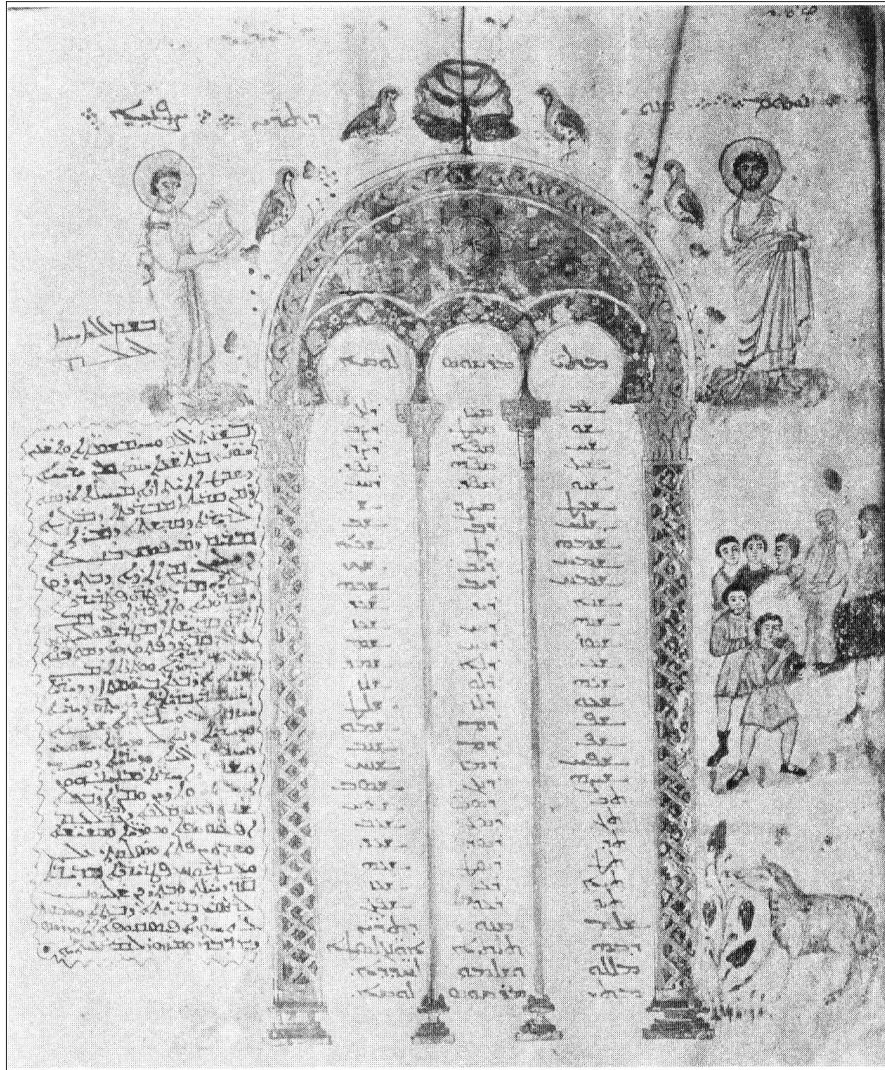
هذا يعيدني إلى اهتمامي بمخطوطات العهد الجديد ودراساتها في مجال النقد النصي. وأنا مقتنع بأن النقد النصي هو مجال دراسة جذاب وذو أهمية

حقيقية ليس للعلماء فحسب، بل لكل من يهتم بالكتاب المقدس (سواء كان حرفياً، أو تعافى من الحرفية، أو لم يكن ليصبح يوماً حرفياً، أو حتى مجرد شخص لديه اهتمام بعيد بالكتاب المقدس كظاهرة تاريخية وثقافية). ما يلفت النظر، مع ذلك، هو أن معظم القراء - حتى المهتمين بالمسيحية والكتاب المقدس والدراسات الكتابية، سواء كانوا يعتقدون بأن الكتاب المقدس خالٍ من الخطأ أم لا - لا يعرفون تقريباً شيئاً عن النقد النصي. وليس من الصعب رؤية السبب. فعلى الرغم من أن هذا الموضوع خضع لدراسات مستمرة لأكثر من ثلاثمائة سنة، لا يوجد تقريباً كتاب واحد مكتوب للجمهور العام - أي لأولئك الذين لا يعرفون شيئاً عنه، الذين لا يجيدون اليونانية وغيرها من اللغات اللازمة للدراسة المتعمقة، الذين لا يدركون حتى أن هناك "مشكلة" في النص، ولكن سيكونون مهتمين لمعرفة ما هي المشاكل وكيف تعامل العلماء معها^(١).

هذا هو نوع الكتاب الذي بين يديك - على حد علمي، الأول من نوعه. لقد كُتب لأشخاص لا يعرفون شيئاً عن النقد النصي، لكن قد يرغبون في تعلم شيء عن كيفية تغيير النسخ للنصوص المقدسة، وكيف يمكننا التعرف على المواضع التي حدث فيها ذلك. هذا الكتاب ثمرة ثلاثين عاماً من التفكير في هذا الموضوع، ومن المنظور الذي أملكه الآن بعد أن مررت بتحويلات جذرية في آرائ حول الكتاب المقدس. لقد كُتب لأي شخص قد يكون مهتماً برؤية كيف وصلنا إلى العهد الجديد، وكيف أننا في بعض الحالات لا نعرف حتى كلمات الكُتّاب الأصليين، وكيف تغيرت هذه الكلمات أحياناً

(١) الكتاب الأقرب إلى ذلك هو كتاب دافيد سي. باركر "النص الحي للأناجيل" (كامبريدج: مطبعة الجامعة، ١٩٩٧).

بطرق مثيرة للاهتمام، وكيف يمكننا، من خلال تطبيق بعض طرق التحليل الدقيقة نسبياً، إعادة بناء ما كانت عليه هذه الكلمات الأصلية بالفعل. بعبارة أخرى، هذا الكتاب في كثير من النواحي شخصي جداً بالنسبة لي، فهو النتيجة النهائية لرحلة طويلة. وربما يكون، للآخرين، جزءاً من رحلة خاصة بهم أيضاً.



صورة من أناجيل رابولا الشهيرة، وهي مخطوطة كتابية أنيقة
من سوريا في القرن السادس